نظر عام في اخصّ حوادث العام

للاب لويس رتزفال اليسوعي (فتمنّة)

واعلم انّ الدين والهيئة الاجتماعيّة لا يقوم لهما قائم ما لم يَسعَ اصحابهما بجمع قواهم لمعاكسة عدوّهما جميعاً. ولهما كليهما عبرةٌ في حزب الاشرار الذين يحملون على نقض اركان سلطتهما باتّفاق الكلمة ووحدة العمل. أفلا ترى ما صنعوا لمّا حُكم بالإعدام على احد زعماء الفوضويين رجل السوء الشقيّ فرّير فانّهم قلبوا العالم ظهراً لبطن للمدافعة عنهُ. وهاك خلاصة هذه المأساة المحزنة

في ١٥ حزيران اذ رأى الاسبانيُّون حملات المغاربة مرّة بعد اخرى على املاكهم في شمالي المغرب عزموا على ردّ القوّة بالقوّة. ففي ٩ تموز صارت المناوشات الاولى بين الفريقين في مليلة. ثم التحم القتال بينهما في جوار تلك المدينة في ١١ منهُ فقُتل من الاسبانيين ١٥ رجلاً وجُرح ٢٨. ثم تكرّرت الوقائع في ٢٥ منهُ فكان عدد القتلى الاسبانيين ٣٠ والجرحى ٥٦ فأرسل قائد الحملة يطلب المساعدة من دولته. ووقعت في اثناء ذلك ملاحم جديدة في ٢٤ و٢٥ من الشهر فقد فيها الاسبانيون ٢٦٠ جندياً مع عدّة ضبّاط الّا انّ المراكشيين أُصيبوا باضرار جسيمة فكان عدد قتلاهم ٣٠٠ وجرحاهم الفاً وفي ٢٧ من الشهر جرت موقعة اخرى قُتل فيها الجنرال بنتو وبعض الضبّاط وبقيت الحرب سجالاً بين الفريقين الى ٢٨ آب حيث وصلت الجنود الاسبانيّة لمساعدة اصحابهم فتمكّن الاسبانيُّون من الغارة على العدوّ وقامت الحرب على ساق حتى دارت رحاها على المراكشيين

وفي تلك الغضون انتهز اهل المشاغب في اسبانية الفرصة لنشر الفتن وكان في مقدّمتهم الفوضويّ فرّير الماسوني المعادي لكلّ المبادئ الوطنيّة ولتجنيد الجيوش فبدلاً من ان يحضّوا مواطنيهم على الحميّة والآثار لقتلاهم اخذوا كالفوضويين الفرنسويين في سنة ١٨٧٠ يشنّون الغارة على وطنهم ويسدّدون نبالهم الى نظام بلدهم ويتحاملون على الاكليروس ورجال الدين ولم يزالوا يسعرون نار الفتن حتى بلغت في الشرّ نهايةً تقام الاوباش واخذوا في ٢٣ تموز يعيثون في عاصمة المملكة ولاسيما في بلاد كاتالونية حيث أعلنوا بحصار مدينة برشلونة وكان اهل الاشغاب لا يَسمعون ببعض الاخبار المكدّرة

التي تنبئ بها الانباء البرقية الا يزيدون سوءاً ويتعرّضون للحكومة ليمنعوا تجنيد الجيش ثم اخذوا يجولون في الاسواق فينهبون ويسلبون ورأوا ادیرة الرهبان فانهم باردة لا يستطيع اهلها الدفاع عنها فساروا اليها كالذئاب الكاسرة ودخلوها كالجيوش الظافرة فضربوا وسلبوا وأحرقوا وانتهكوا حمى المقابر فنبشوها واخرجوا من القبور موتى الرهبان والراهبات فشوّهوها وسحبوها في الشوارع وعلّقوها في اخشاب المنابر ثم هجموا على الاحياء فقتلوا بعضهم وانتزعوا بعضهم بالجراحات كنيس الفرنسيسكان الاقليمي (١ فدامت هذه الحالة السيئة ثلاثة أيام وفرّ من منجم الفتنة ومنبع الشغب حتى تمكّنت الجنود النظامية من اخماد النائرة وطمس معالم الثورة. فاراد الملك ان يحاكم اولئك الاشقياء حكماً صارماً ولاسيما زعيمهم فرّ واعلن بالاحكام العرفية على جهات كاتلونية. فسعى اهل الفوضى بان يعلنوا بالاعتصاب العام في ٢ آب الّا انّ مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ولم تزل الجنود تتعقّب آثار الجناة حتى اخمدت نظى الفتنة واعاد الملك لكاتلونية حقوقها الدستورية

وكان اصحاب الدولة في اثناء ذلك اوقفوا فرّ وألقوه في الحبس لتجري في حقّه المحاكمة الشرعية فاحسّ بذلك الماسون حتى ارادوا ان يظهروا نفوذهم العجيب في اربع جهات العالم فكانت اوامر زعمائهم شبه الشرارة الكهربائية اهتزّ بها المحفل دفاعاً عن رجل اثيم قتّال خائن لوطنه وعدوّ كل سلطة ودين

(١ وقد شعر اليسوعيون والدومنيكان بما سيأتيهم هؤلاء من النظائم فأسرعوا ونقلوا ادبرتهم لكل من يطلب لنفسه اماناً في المدينة فأتى كثيرون وسلّموا اسلحتهم ليدافعوا عن حرمه ربما تقوى الجنود المنتظمة على الثورة. فلمّا قدم الاشرار للنهب والحريق ساء ظنهم في تلك الادبرة ورأوا من اهلها ما لم ينتظروه من الدفاع فرجعوا خاسرين وقد لام اصحاب الفوضى في جرائم الرهبان على ما فعلوا كأنهم فضّلوا ان يُقتل الابرار كما تُذبح الخراف في المجازر وعدُّوهم بعملهم كأعداء الانسانية والوطن. ومن المضحكات ان جريدة « الطان » وصفت وقتئذٍ دير اليسوعيين « كقلعة حريزة فيها الذخائر الحربية والمدافع التي نصبوها فوق سطوحهم مع ٥٠٠ جندي » تأمل

وان سألت وايّ ذنب اقترفهُ الاكليروس ليتحامل عليه هؤلاء الانذال أجبتُ انّ لا سبب غير عداء الماسون والفوضويين للدين . ولعلّهم تصوّروا انّ الملك الفونس وزيره الكاثوليكيّين قد دفعها لحرب المراكشيين اهل الدين وان روميه والبرو بندا هما لمتان اقتناها بالمال. وهذه الاقوال لم يستحي الجنرال داماد الفرنسويّ ان يُطلق بها لاحد كتبة الجرائد وكان كذبهُ هذا داعياً للامته وسبباً لنزله

وابتدأت الحركة في باريس في ٨ تشرين الاول تحت نظارة « الشرق الاعظم » فجرت في تلك العاصمة مظـــاهرات لم تأتِ بجدوى. وفي ١٣ من الشهر حُوكم فرّير وقُضي عليه في مجلس حربي بالموت فرُمي بالرصاص في خنادق منجويش بعد أن رفض قبول الاسرار المقدَّسة. ففي مساء ذلك النهار عاد الفوضويون الى مظاهراتهم في باريس قرب سفارة اسبانية فجرت فيها الدماء وقُتل احد الشُرَط وجُرح ٦٤ شخصاً. وتكرّرت تلك المظاهرات في غد ذلك اليوم على يد الدارسين الفوضويين. وفي ١٥ من الشهر أفجر اصحاب الفوضى في برشلونة قنبلةً وفي ١٧ منهُ عاد فوضويو باريس الى مظـاهراتهم فتألّف منهم موكب ٣٠,٠٠٠ شخص فـاروا في شوارع المدينة تحت حراسة الشرط وهم يصرخون « فلتسقط التلنسوة » يريدون ارباب الدين

ثم بلغت اوامر زعماء الماسونية الى الجهات فأوعز رؤساء المحافل الى اصحابهم بان يقتفوا بآثار فوضى باريس ففعلوا في كل انحاء فرنسة اولًا ثم في ايطالية وخصوصاً رومية (مع انَّ الحبر الاعظم كان طلب الصفح عن فرّير من الحكومة الاسبانيـة) ثم في المانية وانكلترة والنمسة وروسية ومصر حتى بلادنا السوريّة حيث قام الفرمسون وقعدوا لتعظيم رجل لم يعرفوا اسمهُ قبل ذلك ببضعة اسابيع فجعلوه بطل العالم وفريد عصره وفخر الانسانية فسوّدوا جرائدهم بمدحهِ وشخّصوا آثارهُ الموهومة على المراسح وشتموا حكّامهُ ونسبوا الظلم والجور لملك اسبانيـة ولطّخوا باقذارهم ثوب الاكليروس وكل ذلك في امر لم يكن لهم فيهِ لا ناقة ولا جمل وانما فعلوهُ كآلات جامدة يحرّكها من شاء على خاطرهِ. فيا لله أيبلغ البشر الى هذا الحدّ من الجنون فيستحقُّون الويل الذي قال بهِ الربّ في اشعيا (٥ : ١٨—٢٤) : ويلٌ للذين يجرُّون الاثم بحبال الباطل والخطيئة بمثل امراس العَجَلة ... ويل للقائلين للشرّ خيرًا والخير شرًّا الجاعلين الظلمة نورًا والنور ظلمةً والحلو مرًّا والمرّ حلوًا... المزكّين المنافق ... فيكونون كالعصافة التي تأكلها النار .. وزهرهم يتناثر كالتراب ». ومن اراد معرفة فرّير والوقوف على اعمالهِ فليراجع اقوالهُ الاثيمة في حقّ الوطن والجنديّة والآداب الانسانيـة في اعداد البشير من ٩ تشرين الاوّل الى ٦ من تشرين الثاني. وجهينة الاخبار عندنا وزير اسبانيـة حيث اعلن امام العالم بقولهِ « انَّ فرّير لم يُقتَل لاجل آرائهِ (الفاسدة) ولكن لسبب المشاغب التي كان هو سببها » وخلاصة القول انَّ مسألة فرّير كانت لشبـه على العالم بالكابوس

الذي يزعج النائم فيهبُّ من منامهِ ويتحقَّق انَّ لا داعي للانزعاج والقلق بل يضحك من اضغاث احلامهِ. على انَّ هذا الحادث كشف لاعين الجميع قوَّة الماسونيَّة العموميَّة التي هي اشنع قُرح ينكأُ في جسم الهيئة الاجتماعيَّة في ازمنتنا حتى كاد يتلفهُ

*

دَعنا الآن نحوّل رائد الفكر عن هـذا المنظر السيء لنسرّح الابصار في ما هو ادعى الى التعزية نريد الامور السارَّة التي عزَّزت في العالم شرف الدين وانعشت في الامم روح التقدُّم وزادت الشعوب رفاهية وسعدًا

واوَّل ما نذكرهُ من ذلك أن اهل الفضل لم ينـاموا ويفشلوا بازاء حركة الاشرار فانَّ الكاثوليك اخذوا في بلاد مختلفة يقفُون آثار اخوتهم في بلجيكة وهولندة ويقتدون بمثل اساقفة فرنسة الذين سبق لنا وصف اتحادهم لمقاومة اعداء الدين فتراهم يجمعون قواهم ضدّ الاحزاب الشريرة وينضمُّون كالبناء المرصوص لردّ غارات الشيع الماسونيَّة

ومما زاد الكاثوليك تحمُّسًا مـا اعلن بهِ الحبر الاعظم من تطويب جان دراك (اطلب المشرق ١٢ : ٣٢١—٣٣٧) تلك الفتاة نابغة زمانها وداهية عصرها التي كانت بازاء وطنها بمثابة دبّورة او يهوديت لشعب اسرائيل قامت وهي سليلة بعض القرويين الامّيين فخلّصت بلادها من ربقة الاعداء واعادت افرنسة عزّها وفخرهـا. وقد اراد إمام الاحبار ان تكون هذه النعمة الجديدة التي يمنحها لفرنسة كعربون محبَّتهِ لدولةٍ لا يزال يعتبرها كابنة الكنيسة البكر رغمًا عن معاداة حكومتها للكرسي الرسولي. فجعلها في سماء بلادها كقوس النمام وآية السلام وكقدوة البرّ والقداسة مع التفاني في سبيل الوطن المقدَّس بازاء الفوضويَّة التي تُعادي الدين والوطن معًا

وكأن اهل الالحاد والزندقة ادركوا مـا سيكون للدين الكاثوليكي من ارتفاع الشأن والفخر باعلان قداسة جان دراك فعزموا على مثال ڤولتير ان يشوّهوا تلك الصورة البديعة ويدنّسوها ببذاءة اقوالهم. فقام احد اساتذة كليَّة الحكومة المسمَّى طلماس (Thalamas) فألقى درسًا في ١٩ كانون الثاني امام طلبتهِ شنَّع فيهِ على جان دراك ونسب اليها اسوأ النيَّات واقبح الاعمال وأنكر الوحي السماويّ الذي دعاهـا الى نجاة وطنها فهبَّت السامعون لهذه الاقوال واقتسم الطلبـة الى قسمين انتشب بينهم شبه القتال ثم استفحل الشرّ في ٢٧ من الشهر وناصب المدافعون عن جان دراك استـاذهم

حتى كادوا يزقونهُ تزيقاً فغلب حزب المضادّين للوطن وزاد اسم جان درك بهاء بعد ان ألقي القبض على مئة من اولئك الأشهام فكان توقيفهم ظفراً لهم وكسرةً لاعداء وطنهم

وقد اثّر هذا المثل في كثيرين حتى انّ الاعياد التي أُقيمت في السنة المنصرمة لاكرام جان درك بلغت اقصى درجات الرونق والأبهة لا بل اعلن شيخ مدينة اورليان انّهُ لا يرضى باشتراك الماسون في الحفلة السنويّة التي تُعقد هناك ذكرًا لتلك البتول لئلّا يكدّروا صفاء العيد كما فعلوا في السنة السابقة بل اوعز الى الاكليروس بأن يُعدّوا حفلةً دينيّة لذلك الموسم العظيم. ولمّا احتج البعض على ما فعل شيخ اورليان طلب هذا من مجلس البلديّة التصويت في بيان رأيهم فكان عدد المضادين لاشتراك الماسون ١٩٣٩ شخصاً ضد ٧٨ فقط فسُحقت الماسونيّة بذلك بل قُل ان جان درك انتصرت ثانيةً على اعداء وطنها ودينها

ولا يسعنا هنا ان نغفل ما جرى في رومية من الحفلات يوم تطويب جان درك فانّ الكنيسة الكاثوليكية وحدها يمكنها ان تقوم بمثل هذه المظاهرات الجليلة فاراد حبر الاحبار ان لا يوفّر شيئاً من اسباب الرونق والعظمة في ذلك اليوم وكان عدد الفرنسويين الذين تقاطروا لحضور العيد لا يقلّ عن ٤٠٠٠٠٠ يتقدّمهم ٦٧ اسقفاً. وليس من قلم يستطيع ان يسطّر او لسان ان يصف ما خامر قلوب اولئك الزوّار لمّا حيّا نائب المسيح بل سلطانهِ راعية دُنمامي الوضيعة واعلن رسميًا بأنّها شفيعةٌ لفرنسة ومجدها الاثيل وبفعلهِ هذا اعترف ببطلان الشكاوى والمثالب التي رشقها بها اعداؤها كما انّهُ اقرّ بدعوتها الالهيّة ونسب الى الله ما صنعتهُ لخلاص وطنها

وفي غد ذلك اليوم ١٩ نيسان منح البابا الفرنسويين امتيازًا خصوصيًا فاستقبلهم في كنيسة مار بطرس على خلاف العادة فتلا اوّلًا اسقف اورليان عريضةً باسم الجمهور شاكرًا لقداستهِ فعلهُ بتطويب جان درك وما لبث رئيس الكنيسة جمعاء ان قام فخطب خطابًا في نهاية البلاغة ضمّنهُ لسبي واحنّ عواطف الحب نحو فرنسة وكنيستها المضطهدة. ولمّا انتهت الحفلة وحُمل كبير الاحبار على منصّتهِ الملوكيّة فرّ في وسط الجماهير المزدحمة لقي في طريقهِ راية فرنسة منتشرةً فالتقفها بيدهِ وقبّلها وضمّها الى قلبهِ هنيهةً امام الجموع فارتجّت كنيسة مار بطرس لصدى المتهلّلين وصفّقوا تصفيق

الاستحسان والشكر للاب الاقدس وبانت حماسة القوم اقصى مبلغها

وكانت هذه الحفلة الرومانية متقدمة للاعياد المتالية التي أقيمت في كل مدينة من مدن فرنسة ولا يكفي لوصفها مجلد واسع فانّ في باريس مثلاً ضاقت كنيسة نُتردام مع رحبها العظيم عن عدد الحضور فاقتضى السيد لوكور (Lecœur) ان يخطب للجمهور في الساحة الكبرى التي امام الكنيسة وكذّب الذين يزعمون انّ قلوب الفرنسويين خالية من شواعر الدين وبيانًا لذلك تلا مسهم دستور الايمان فترافعت تهاتهُ الى عنان السماء. وقس عليهِ بقيّة المواسم لاسيما في مدينتي اورليان وفي رِمس حيث اظهرت جان درك دعوتها السوئية بكسرة العدوّ وتتويج الملك شرل

وكذلك اقام اهل لورد في مدينتهم ثلاثيّةً لاكرام المطوّبة جان درك في ١٠ آب فيتم ذلك المزار الشهير بنسبة هذه الاعياد ٥٠٠,٠٠٠ من الزوّار تقلهم البخار على اجنحتهِ في ٢٩ قطارًا فجرت هناك حفلات كانت من ابدع المواسم الدينيّة وكانَ العذراء البتول ارادت ان تحيّي ابنتها جان فشفت في اثناء تلك الثلاثية كثيرين من المرضى والمسقومين الملتجئين اليها. امّا ختام اليوبيل الخمسيني (اطلب المشرق ١١ : ٣٢١ و١٢ : ٤٩) في لورد فوقع قبل ذلك في ١٠ الى ١٢ شباط وكان في معظم التخشّع والرونق

*

وان انتقلنا من فرنسة الى بلجكة وجدنا ان الكثلكة هناك رافلة في ثوب العزّ وقد احتفل اهلها في السنة الاخيرة باليوبيل الألفي لانشاء كليّتهم الجديدة في لوفان فقبلت كليات العالم باجمعها — الا كليّة فرنسة اللادينيّة — دعوة البلجكيين فأرسلوا وفودًا ليحضروا الاعياد البهجة التي تولّى اقامتها اساتذة لوفان في ٩ أيار

وفي ١٦ منهُ احتفلت بروكسل بتذكار فوز الكاثوليك على خصومهم في سنة ١٨٨٤ وباليوبيل الخمسيني للمعاهدة الكاثوليكية فيها. وعقب ذلك عقد المؤتمر الكاثوليكي في مدينة مالين في ٢٤ ايلول الى ٢٦ منهُ وقد سبق المشرق (١٢ : ٩٤١ — ٩٥٠) ووصف هذه المظاهرات في مقالة خاصّة لاحد الآباء البلجكيين اختصر فيها اعمال الحزب الكاثوليكيّ في بلجكة منذ ربع قرن. ولم يعكر سحابة صفاء هذه الاعياد الّا بعض الاختلاف وقع بين المندوبين الكاثوليك في امر الجنديّة ومدّة الخدمة والامل معقود بأنها تكون سحابة صيف فتنكشف

وقد تشبهت هولندة شقيقة بلجكة بجارتها في تعزيز الدين وان كان معظم اهلها بروتستانت وللكاثوليك من هذا القبيل سهمٌ فائز فانّ الانتخابات الاخيرة التي جرت في ٢٤ حزيران كانت فيها الغلبة لحزب اليمين فبلغ عددهم ٦٠ مندوباً منهم ٢٥ من احرار الكاثوليك. اما حزب الشمال فلا يتجاوز ٤٠. وقد عمّت الافراح هذه السنة دولة هولندة بمولد ولية عهدٍ للملكة. ففي ٣٠ نيسان ولدت للملكة وليلمين ابنةٌ دُعيت « اما هنريات جوليا » تخلفها في الملك فلا يستولي على البلاد ملك غريب

ولم يحرم الله كاثوليك انكلترة من تعزية جديدة كانوا في انتظارها من زمن مديد نزيد تحريرهم المدني من بعض السُّنن الموضوعة في حقهم أيام الاضطهاد البروتستاني كحرمانهم من رتبة كنشليار الدولة ومن منصب نيابة الملك في ارلندة وكنفي الجمعيات الرهبانية من بعض الحقوق منها معرفتهم الشرعيّة وصلاحيتهم للتملك الشرعي وكذلك الماء القسّ الملكي المخلّ بشرف الكاثوليك حيث يُنكر معتقدهم بوجود السيد المسيح في سرّ القربان. فالوزير العظيم المسيو اسكيث ارتأى ان تُلغى اصلًا تلك القرارات الشاذّة. وقد وافقتهُ مبدئيًا ندوة الشعب في جلسة ١٩ أيار فقبلت حكم المسيو رذمند بأغلبيّة الاصوات

ومما يشهد لانكلترة بمراعاتها للكاثوليك انّ الانكليز لم يتمرّضوا البتّة لتطويب جان درك الظافرة بجنودهم ولم يستاءوا من رفعتها على المذابح. اما الكاثوليك منهم فأتفقوا مع اخوتهم الفرنسويين على اكرامها لاسيما في رومية

عُقد المؤتمر القربانيّ السنة ١٩٠٩ من ٤ الى ١٠ آب في مدينة كولونية فأعرب الكاثوليك الالمانيّون في اثنائهِ عن وفرة ايمانهم وشدّة غيرتهم وارتباطهم غير المنفصم بالكرسيّ الرسولي. وكان الطواف بالقربان الاقدس في ختام المؤتمر مهيباً جليلًا في ٨ آب اشترك فيهِ ثمانون الفاً من المؤمنين

وكذلك النسيّون في السنة المنتهية زادوا تحمّساً في دينهم لاسيما في ٢٠ أيار اذ نظم الحبر الاعظم في سلك القديسين رجلين من اهل بلادهم الطوبويين اوريول وهوفباور. وكان عدد الاساقفة الحضور في رومية لتلك الحفلة ٢٠٠ اسقف اكثرهم من نواحي النمسة. وفي تلك الفرصة ارسل جلالة الامبراطور فرنسوا جوزف معروضاً بليغاً الى قداسة البابا بيوس العاشر يشكرهُ على هذا الالتفات

وفي ١ تموز اوفد جلالة السلطان محمّد الخامس وفداً خصوصيًا مع رقيم بخط يده الى امام الاحبار فوقع الامر في صدور الجميع احسن موقع . وقد اجاب قداسته على هذه الرسالة جواباً يسيل رقّة ولطفاً واعتباراً لشخص جلالة سلطان العثمانيين

ومما يُفعم قلب ابي المؤمنين سروراً ما يراهُ من حسن تصرُّف الملكَيْن الشابين عاهل اسبانية وعاهل البرتغال . وقد اغتنم الملك الفونس فرصة الحوادث السيئة التي جرت في مملكته بسبب قتل الاثيم فرّير ليجاهر بحبّه للكنيسة ولرأسها الموقّر . اما الملك مانويل فانهُ صار قدوةً لكل اهل باريس بما ابداهُ عند مروره في تلك العاصمة في اواخر تشرين الثاني اذ ذهب يوم الاحد في ٢٨ منهُ الى كنيسة مادلين ليتمم علانيةً فرائضهُ الدينية . ويسرّنا ان نذكر قرّاءنا بانَّ هذين الملكين تربّيا في حجر والدتين عربيتين في الدين اي الملكة كرستين والملكة أميلي احدى بنات الكنت دي باريس . فالأمل وطيد بانَّ ابنيهما لا يُصابان بعدوى الكفر المتفشّي في زماننا

وكذلك ملك ايطالية قد استحقَّ ثناء الكاثوليك في العام المنقضي باكرامهِ المكرَّر للحبر الاعظم كما انهُ لم يأنف ان يدافع عن اكليروس ايطالية ورهبانها بازاء المشائعين للجمعيّات الكافرة . ويا ليت ملوك ايطالية لم يلجوا في طريق حرجة لمّا طمعوا في مملكة البابا الزمنيّة واستعانوا لتحقيق رغائبهم باهل الثورة واصحاب الجمعيّات السرّيّة فجعلوا عرشهم على شفير هار

وفي تشرين الثاني كان ختام يوبيل الحبر الاعظم الاسقفيّ صارت فيهِ مظاهرات بهيجة كدَّرتها مؤامرة الفرمسون في ايطالية لتبجيل فرّير او قُل بالاحرى لتبييض سواد ذلك الحبشي القذر فملأوا شوارع رومية جلباً وطعنوا في شخص يوس العاشر الكريم . لكنَّ قداستهُ تعزّى بما كتبهُ اليهِ معظم ملوك اوربّة من الرسائل الناطقة بشواعر الحبّ البنويّ وبسموّ وقارهم الخليفة خامة الرسل كامبراطور نمسا وامبراطور المانية وملك اسبانية وامير باڤاريّة . وقد تلطَّف قيصر روسية فارسل هو ايضاً رقيماً بقلمهِ كان لقداسة البابا كبلسم لاوجاعهِ

*

هذا وقد بقي علينا ان نختصر في هذا النظر العام ما جرى من الحوادث السياسية في السنة الاخيرة . كانت انظار الشعوب متّجهة الى السلام فلم يرتق صفاء مياهها الّا

حوادث قلية كادت تنتهي مع نهاية السنة. فمن ذلك حوادث تركية التي فصّلناها في مقالتنا عن السنة الاولى للدستور العثماني (المشرق ١٢: ٥٦١–٥٦٩) وتركيا اليوم لم يبق ليتهدَّد راحتها سوى المسألة البلقانيَّة ومسألة كريت فضلاً عن الحرب اليمنيَّة اكسر شوكة الامام يحيى والمهدي محمَّد علي الادريسي

وكذلك امور مراكش فان الوقائع الدمويَّة التي حدثت فيها بين الاسبان والقبائل قد دخلت في طور جديد في سلخ شهر آب بوصول النجدات فان الجيش الاسباني اصاب الفوز التام بدخوله في ٢٨ ايلول في قصبة يسأبان فخضعت قبائل الريف ثم بقيَّة المعادين

ويُضاف الى هذه الحوادث المكدّرة ما جرى في العجم بين اهل الثورة والشاه. فانَّ الدستوريين أخلدوا الى الشغب ثم اعتصبوا وساروا الى طهران فتحوها في ١١ تموز رغماً عن الجند ومساعدة الروس للشاه. وفي ١٦ منهُ حصلت حرب اهليَّة في شوارع طهران اوجبت الشاه ان يلتجئ الى سفارة روسيَّة وانتهت الازمة بتنازله عن الملك لابنهِ مرزا وهو غلام كاد يناهز البلوغ عمرهُ احدى عشرة سنة وقد رضي بالملك الدستوري وافتتح مجلس الندوة في ١٥ تشرين الاوَّل

وقد اراد ايضاً اليونان ان يذوقوا ثمرة الفتن فانَّ جنودهم هاجوا وماجوا ليتزعوا السلطة في البرّ والبحر عن الامراء المنتمين الى الاسرة الملكيَّة. ثم زادوا لحّةً وطلبوا تغيير ١٨ من عمدة رؤساء البحر فاجتمعوا بالقومندان تيبلدوس واستولوا على سلامين الّا ان الاميرال ميوليس رماهم بالقنابل ودحرهم فهرب تيبلدس مع الضبّاط وهكذا انتهت تلك الازمة الّا ان العصبة الجنديَّة في اليونان وثيقة والله اعلم ما تنويهِ من المشاغب

وزد على هذه الامور المقلقة حركةً ثوريَّة حصلت في جمهوريَّة نيكاراغوا لم تخمد بعدُ نارها ولعلَّ الولايات المتَّحدة تتوسَّط في حلّ عقدتها. وزد كذلك زعجرةً اسمعتها اليابان للصين بسبب السكَّة الحديديَّة بين انطُنغ وموكدن. على انَّ هذه القلاقل كلّها كانت محليَّة منحصرة في بعض الجهات لم تعكّر صفاء السلم العام

ولكن يسوغنا القول بان هذا السلام ليس بسلام ثابت الاركان وطيد البنيان فيكفي شرارة واحدة لتوقد نار حربٍ هائلة تلتهم البلاد كالصاعقة. وقد يدعون هذا السلام سلاماً مسلحاً فناهيك بهذا الاسم داعياً للخوف منذراً بالاهوال. ولم تكتفِ الدول بالتسليحات السابقة بل صرفت على زيادتها المبالغ الطائلة. فتسمع ملوكها ورؤساءها يكرّرون عبارات

الولاء والتحابّ وتراهم يتزاورون ويتبادلون أنخاب الصداقة والاخاء وحكوماتهم موجسة خوفاً فيأخذ كل بلد حذرهُ من جارهِ ويقف لهُ بالمرصاد

ففي السنة المنصرمة ما كنّا لنسمع الّا اخباراً تفيد توفير الذخائر الحربيّـة برّاً وبحراً لاسيما الدرارع البحريّة العظيمة الحجم المعروفة بدرادنُتس (Dreadnoughts) التي عُرف فضلها في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان فترى الدول كلّهـا تتسارع في تنمية هذه جابرة البحر وتتنافس في اتقانها. فاليوم تبلغ النفقات لتجهيز احدى هذه السفن قريباً من ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني ما يوازي مصاريف حربٍ طويلة في الازمنة السابقة. فان كل بارجة من هذه البوارج ستقلُّ عشرة من المدافع الكبيرة التي عيارها ٣٠٥ ملمترات مع ان الدارعة الضخمة لافريته التي رأيناها في بيروت في شهر أيار لا تحتوي سوى اربعة من هذه المدافع . فليت شعري ماذا تكون الحرب الآتيـة اذا اصطلت نيرانها ؟ ولاسيما اذا ما دخلت في ميدان الوغى المراكب الهوائيّة من مناطيد وطيّارات لانَّ الطيران منذ ثلث او اربع سنوات قد خطا خطوةً كادت تبلغ اصحابهُ قصوى امانيهم حتى انَّ اعضـاء مجلس التحكيم في لاهاي اخذوا يتباحثون في شروط استعمال آلاتهِ في الحروب فرغبوا الى الدول أن تتعاهد بألّا ترمي القذائف من عَلُ. كما انَّ هذه المراكب الجوّيّة فتحت باباً جديداً لاصحاب الفتن ليقذفوا اعداءهم منهـا بأدوات متفجّرة ويفرّوا من ايديهم محلّقين في الجوّ الى بلاد بعيـدة. وهذا ما حذرهُ جلالة قيصر روسيّة نيقولا الثاني في هذه السنة فانهُ ألّا عوّل ان يقضي الشتاء في قصر بطرسبورج الشهير امر المصعدين ان يمتنعوا عن ذلك الّا برخصة خاصّة وتحت نظارة الحرس

فسلامُنا اذن قابل الزوال تتهدّدهُ الاخطار وكأنَّ الملوك ورؤساء الدول يشعرون بهذه الحالة فيطلبون وسيلة لتطمين الخواطر ولاسيما بزياراتهم الرسميّة بعضهم الى بعض. ومن هذه الزيارات الملكيّة التي افاضت في وصفها الجرائد زيارة الملـك ادورد السابع وقرينتهِ في ٩ شباط لغليوم الثاني فقدما برلين تهنئةً للامبراطور الالماني لبلوغـهِ السنة الخمسين من عمرهِ. وكان من نتائج هذه الزيارة اتفاق دولتي فرنسة والمانية على سلامة دولة مرّاكش والمساواة التامّة في الحقوق الاقتصاديّة بين الدول المتعاهدة

وفي هذا الشهر عينهِ في ٢١ منهُ ألّا توتّرت الاحوال بين الترك والبلغار وقعت زيارة البرنس فرديناند امير بلغاريا الى ملك روسيّة فدعاهُ نيقولا لاوّل مرّة باسم القيصر

فوقع كلامهُ موقعاً سيئاً في قلب الدولة العليَّة لولا انهُ لطَّف فعلهُ بتعهُّدهِ لدفع الدَّين البلغاري متنازلاً لتركيَّة عن بقايا دينها لروسيَّة بعد حرب ١٨٧٦ — ١٨٧٧. وما مرَّ على ذلك عشرة أيام حتى زال النزاع بين الدولتين وتقرَّرت شروط المعاهدة بينهما فامضاها ممثلو الدولتين في ٢ آذار

ومن الزيارات الملوكيَّة التي عُرفت غايتها السياسيَّة المواجهات المتبادلة بين اصحاب الدول الثلاث ايطالية والمانية والنمسة اثباتاً لتحالفهما الثلاثي الذي جعل البعض ينكرونهُ بعد مدّ النمسة سيطرتها على ولايتي البُسنة والهرسك فاثار فعلها حزازات في قلب صربية والجبل الاسود وكادت الحرب تنشب بينها وبين النمسة اذ رأيا في هذا الامر تعدّياً على حقوقها لمناختهما للبسنة والهرسك. واستاء ايضاً الايطاليُّون من النمسة لأنَّ ملكتهم ابنة امير الجبل الاسود وهم ينقمون للنمسة معاملتها في التيرول وفي تريستة لمواطنيهم فارادوا ان ينضمُّوا الى الصرب والجبل الاسود فيحاربوا النمسة وكتبوا في جرائدهم المقالات المهيجة وقاموا في رومية بالمظاهرات العدائيَّة ضدَّ سفارة النمسة. الَّا انَّ الصرب بعد مدَّة عدلوا عن تحمُّسهم اذ رأوا انَّ روسيَّة صادقت على المعاهدة بين تركيَّة والنمسة وهكذا زال خوف الحرب. ثم اسرع امبراطور المانية لتوثيق عُرى التحالف السابق بين الدول الثلاث فانتهز فرصة عودتهِ من جزيرة كورفو ليزور في برنديزي ملك ايطالية فخطب الملكان خطابين رسميين اشارا فيهما لاتحاد الدولتين ثم ارسلا بالبرق رقيماً ودّياً للامبراطور فرنسوا جوزف. وبعد قليل التقى الامبراطوران في حاضرة النمسة وتناوبا الانخاب الولائيَّة وفي اثر المأدبة اوفدا لملك ايطاليَّة نبأً برقيّاً صرَّحا فيهِ بالتحالف الثلاثي بحيث لم يبق في الامر ريب البتَّة. وهذا التحالف لستّ سنوات ثمَّ يجدَّد

وبازاء هذا التحالف الثلاثي شعرت الدولتان الروسيَّة والانكليزيَّة بحاجتهما الى التقرُّب والولاء بعد نفورهما القديم بسبب مزاحمة الدولتين الواحدة للاخرى في جهات الهند والعجم. ففي ٢ آب التقى القيصر مع ملك الانكليز في سپيتهاد (Spithead) بحرًا وقام الانكليز هناك بمعرض بحري فخيم اجلالاً لنيقولا الثاني. فكان لاجتماع الملكين تأثير عظيم وتوطَّد امل الناس في السلم العام. ثم اجتاز القيصر بلاد المانية وزار الامبراطور غليوم في كيل في آب ومرَّ في فرنسة عادلاً في طريقهِ من النمسة حتى بلغ

راكونيجي في شمالي ايطالية فاستقبلهُ فيها ملك ايطالية مع الملكة بالعزّ والتبجيل

وكان السياسيون يلهجون بزيارة جلالة السلطان محمّد الخامس لجارهِ الروسيّ الّا انّ كرامة الدولة العثمانية رأت في هذه الزيارة الشخصيّة بعض غضاض فرأى اصحاب الامر انّ الاولى بان يقوم بهذه المهمّة وزير الخارجية رفعت باشا الذي وقّع في بطرسبورج على المعاهدة بين تركيّة و بلغارية . فأُرسل مع وفد على اليخت السلطانيّ « اسطنبول » ليلاقي القيصر عند عودتهِ من ليفاديا فتمّت الزيارة في ١٢ تشرين الاوّل وقدّم الوزير لقيصر بخطّ جلالة السلطان محمّد الخامس مع هديّة ٦٠٠٠ لفافة من اجود التبغ العثماني كان اوصى صاحب السلطنة بصنعها في معامل الريجي وهكذا عادت المواصلات الوديّة التي انقطعت بين الدولتين منذ ٣٣ سنة

وكذلك كثر لهج الجرائد في المواجهة الحديثة بين قيصر البلغار وولي عهد الصرب فلا يُعلم أيكون في اتّفاق دولتي البلقان مناوأة للنمسة . والله اعلم

ومن اخبار فرنسة الاخيرة مصادقة ندوتها على برنامج البحريّة الذي تعيّن للسنة ١٩١٠ بقدر ٣٧١,٠٠٠,٠٠٠ اعني بزيادة ٣٧ مليوناً على السنة الماضية (١ فهذه نفقات غريبة ويا ليتها كلّها تُصرف في اصلاح الاسطول فلا تبذّر كما حصل في السنين الاخيرة حتى انّ العجز الذي أعلن به رسميًّا في ١٩ حزيران لا يقلّ عن ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وما كان سقوط وزارة كليمنسو في ٢٠ تموز الّا بيان الحالة السيئة التي بلغتها الاساطيل البحريّة في فرنسة . فقام كليمنسو ليدافع عن الوزارة لكنّهُ مسّ كرامة المجلس وطعن بوطنيتهِ فتصدّى لهُ دلكاسه ودافع عن شرف الوطن فانقلبت الوزارة

فترى ما يكلّفنا سلامنا العام . وقد عزم مجلس السلم في لاهاي بعد حكمهِ في خصام فرنسة والمانية في مراكش على ان يجعل حدًّا للتسليح فنسأل ربّ السلام بان تأتي مساعيهِ بالمرغوب

(١ ان عدة رؤساء البحر اتّفقت على ان يُصرف ثلاثة مليارات فرنك لاصلاح الاسطول وذلك في مدّة ٢٥ سنة حتى تبقى فرنسة في مقام الدول البحريّة الاولى . ففي سنة ١٩٢٥ يقتضي ان يتمّ لها تسيير ٤٥ دارعة كبيرة ثم ١٢ بارجة و١٢٤ سفينة معاكسة للتوربيل